

وذكر القرطبي : قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لأسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فوافيته يقرأ في صلاة المغرب والطور إلى قوله تعالى : { إِنَّ سَعْدَآبَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مِّمَّا لَكَ مِنْ دَافِعٍ } ، فكأنما صدع قلبي فأسلمت خوفاً من نزول العذاب ، وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب . وذكر في خبر مالك بن دينار أنه سمعها فجعل يضرب حتى غشي عليه : .

وقد نقل السيوطي في الإتيان خبر مالك بن دينار بتمامه في فصل إعجاز القرآن . . وقال : قد مات جماعة عند سماع آيات منه أفردوا بالتصنيف ، وقد ينشأ هنا سؤال كيف يكون هذا تأثير القرآن لو أنزل على الجبال ولم تتأثر به القلوب ، وقد أجاب القرآن عن ذلك في قوله تعالى : { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً } ، وكذلك أصموا آذانهم عن سماعه وغلفوا قلوبهم بالكفر عن فهمه ، وأصدوها بأقفالها فقالوا : قلوبنا غلف . وكذلك قوله تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدِّمَتْ يَدَاهُ إِذَا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِئْدَانِهِمْ وَقُرْآنًا } أي : بسبب الإعراض وعدم التدبر والنسيان ، ولذا قال تعالى عنهم : { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتْرَةَ الْآخِرَةَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالٌ هِيَ } فهذه أسباب عدم تأثير الكفار بالقرآن كما قال الشاعر : أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتْرَةَ الْآخِرَةَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالٌ هِيَ { فهذه أسباب عدم تأثير الكفار بالقرآن كما قال الشاعر : % (إذا لم يكن للمرء عين صحيحة % فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر {) % .

ويفهم منه بمفهوم المخالفة أن المؤمنين تخشع قلوبهم وتلين جلودهم ، كما نص تعالى عليه بقوله تعالى : { اللَّـهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مِّمَّا تُتَشَابَهًا } مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّـهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّـهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ } وقوله تعالى : { لَوْ أَنزَلْنَاهُ } يدل على أنه لم ينزله على جبل ولم يتصدع منه . .

وقد جاء في القرآن ما يدل عليه : لو أنزله ، من ذلك قوله تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَاهُ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ

يَحْمِلُنَّهَا وَ-أَشْفَقْنَ مِنْهَا { . .

وهذا نص صريح لأن الجبال أشفقت من حمل الأمانة وهي أمانة التكليف بمقتضى